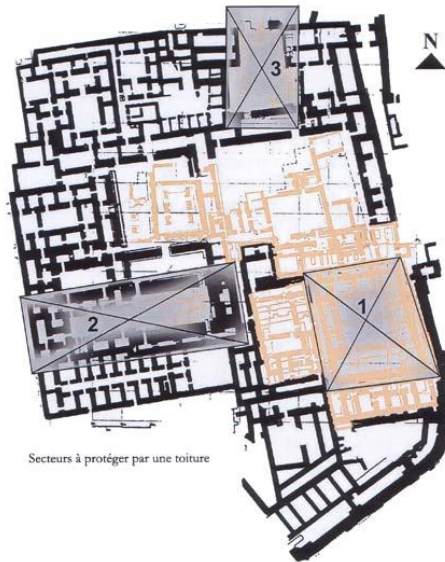


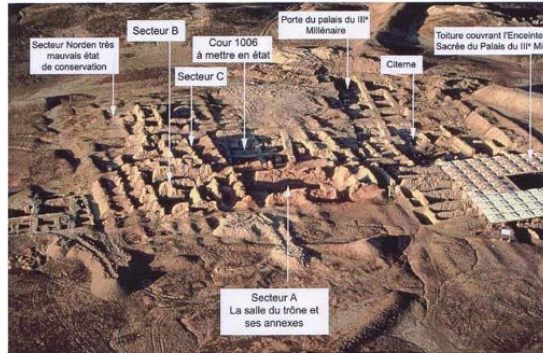
ماري ميناء على نهر الفرات....

محمد العبيدي

GRAND PALAIS ROYAL DU II^e MILLÉNAIRE



Secteurs à protéger par une toiture



Grand Palais Royal, vue aérienne des secteurs d'intervention.

هي مملكة ماري ((تل الحريري)) قرب منطقة البوكمال شرق سوريا في الوقت الحاضر ، وهي مناطق الفرات الأوسط ووديان نهر الخابور حتى وصلت إلى منطقة هيت شمالا ، وكانت تحت سيطرة الدولة الاكدية ((د.طه باقر / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج 1ص420)).

كانت مدينة مهمة جدا خضعت لمملكة أور الثالثة ويقول الأستاذ فوزي رشيد: مدينة ماري هي خاضعة للسيطرة المدنية والعسكرية إلى مملكة أور الثالثة بقيادة أول حاكم لمدينتها ((يكديليم)) الذي حكمها في النصف الأول من الألف الثاني للقرن التاسع عشر قبل الميلاد ، والمعلومات التاريخية تشير إلى أن المدينة تمثل حضارة مزدهرة أنارت بتطورها وقوانينها وتجارها العالم القديم ، وهي مركز تجمع القبائل الخارجة من بلاد الرافدين .

وسلالة أور الثالثة التي أسسها الأمير الشهير ((اورنمو)) وبلغ عدد ملوكها 5 ملوك حكموا السلالة أكثر من مائة عام هذه السلالة اشتهرت بتعمير وبناء البلاد

وإعلاء مجد سومر إلى البلاد من خلال التداول وتقديم الالهة السومرية على غيرها من الالهة وإقامة الشعائر الطقسية السومرية القديمة التي كانت تعلي الشأن منهم. وقد تقدمت الحضارة في هذا العهد تقدما محسوسا وانتشرت المعارف والفنون والآداب والعلوم وتنازل قسطا وافرا من العناية حتى أصبحت قبلة الشرق القديم .

مدينة ماري نطلق عليها جسرا تمر عليه موجات الهجرة في قدومها من الغرب إلى بلاد الرافدين ، وكان ملوكها ذو سلطة ونفوذ قوي حتى على مدن جنوب العراق وحتى في عصر فجر السلالات وبالرغم من خضوعهم للنفوذ الاكدي وتم لبعضهم الاستقلال في العهد البابلي القديم وفي زمن ملكهم ((زمري لم)) كانت الكفة لهم ولكن تقدم الملك حمورابي عليهم ، لم يدع لهم مجالاً بل حاربهم الواحد بعد

الآخر وقضى عليهم جميعا جميعا الواحد بعد الآخر وقضى عليهم جميعا.



موقع المدينة على نهر الفرات جعل من ملوكها الاهتمام بالتجارة ولاسيما ربط المدينة بمصر وبلاد الشام لكن نفوذ الدولة الآشورية جعلها تواجه صعوبات بالرغم من استقلالها لفترة قصيرة وبعدها خضعت تحت سيطرة الملك حمورابي وانتهت المدينة في عصر الملك ((زمري لم)) .
قصر الملك ((زمري لم))

تبلغ مساحة القصر حوالي هكتارين ونصف ويضم حوالي / 300 / غرفة وباحة
كان يؤلف مدينة داخل مدينة محاطة بسور ضخم أبعاده 200 / 120 م 0

ويتألف القصر من قسمين شرقي وغربي وتقع المكاتب والإدارة في قسمه الشمالي
الغربي حيث يوجد سكن الملك وعائلته 0

أما مدخل القصر وهو الوحيد في جداره الشمالي ويتألف من غرفة واحدة يرتفع
على جانبيها برجين دفاعيين يتقدمها مدرج مبلط بالحجارة ثم تليها غرف متتالية
وممرات متعرجة يصل المرء من خلالها إلى باحة سماوية هي أكبر باحات القصر
أطلق عليها اسم باحة النخيل وقد ذكرت في أحد الرسوم الجدارية في القصر تبلغ
مساحتها / 49 ؟ 33 م / مبلطة بأجر مربع ومن خلال هذه الباحة يتم الوصول إلى
مختلف أقسام القصر كما خصصت قاعات لجلسات الملك تطل من خلال باب عريض
على غرفة يوجد فيها منصة منخفضة تدل على موضع العرش وهناك قاعات أخرى
للاحتفالات الدينية 0



جداريه تنصيب الملك ((زمري لم)):

الرسم الجداري في باحة القصر كان يمثل إبلاغا ملكيا كون تضايف مكان وجوده
كخلفية لعرش الملك نفسه ، وهذا برأي الكاتب اخذ يعزز الرسالة التي يبثها الرسم
الجداري نفسه ، ويحتوي على مفردات وعناصر حددت ضمن مجال التقابلات
المتناسبة والمتعددة الجوانب ، تلك التقابلات ألمحت الجانب التقني والأدائي
للفنان في أن يؤسس قيم لونية ، وشكلية للإشارة التي تعطي إلى خلاصة الفكر

المهم والنبيل لحكم ملكي في ارض الرافدين والذي يحمل الهيمنة الملكية الإلهية الغير متداخلة مع الأوجه المتعددة للعلامات الأخرى ((تقابل—متعدد --- متناسب)) مقابل إلى ((الطيور وأشجار النخيل الماء)) اي ((الأسد - الحلقة — الصولجان)) كل هذه سجلت ضمن الطبيعة التواصلية للمشهد ، هذا النسق بدا يتحاشى كل صور التعقيد ولا بد أن يحتل مرتبة مفهومية متقدمة من قبل عامة الشعب، بالرغم موت وجود التقابلات الثابتة التي لاتسمح التجريد ولا الاختزال كونها مثلت مصدر القوة، الأسد والحلقة والصولجان اكتسبت قيمة المنع بعدم العبث بهذا الرمز الإلهي ولا يكون صورة دارجة ضمن الصور ، ولكنه اكتسب قيمة التبادل وقيمة المنع في نفس الوقت .

وهنا يعطي الزميل يعرب العبد الله في صحيفة الفرات وصف تقني ناجح بالإمكان الاستعانة به: إن أهم ما يشتهر به قصر الألف الثاني ق.م، في ماري الرسوم الجدارية

التي دلت على إتقان رفيع لفن الفر يسك منذ ذلك الزمن الباكر، فلقد عثر على الرسوم في العديد من قاعات القصر (القاعات 132 ، 106 ، 220 ، 34) وكانت بقاياها مبعثرة، وقد أمكن ترقيمها وإعادة ترتيب مشاهدتها.

لقد استخدمت في رسم هذه المشاهد الألوان البيضاء والسوداء والحمراء على

خلفية من الملاط الكلسي، وقد عولجت الموضوعات بشكل امتزجت فيه التأثيرات السومرية – الاكدية ، فظهرت لوحة متميزة فيها الكثير من الإبداع والتجديد.

على جدار القاعة رقم (106) بجانب لوحة التنصيب الشهيرة رسم مشهد أسماه المنقب لوحة التضحية: (La Sacrifice)

لقد نفذ المشهد على طبقة سميكة من الكلس وهو يظهر موكباً يسير على رأسه رجل مهيب أكبر من الجميع بردائه المشرشب وقبعته المميزة، ويسير خلفه ستة رجال أصغر يرتدون لباساً مشابهاً للرجل الرئيسي ويقودون ثورين زينت قرونهما بطبقة من رقيقة من الذهب.

إن التشابه بين ملابس رجال هذا الموكب ورداء الملك شمشي حدد الأول الذي

ظهر على مسلة من حجر البازلت وجدت في ماردين، ومع أعمال آشورية أخرى معاصرة،

جعل الدارس ينسب هذه الرسوم إلى عصر هذا الملك عندما كانت ماري تابعة له وتحكم من قبل ابنه يسمح حدد 1870 – 1800/ق.م/ قبل أن يستعيد العرش فيها زمري ليم إن أهم وأكبر رسم جداري في ماري هو المشهد الذي ظهر على القسم اليميني من القاعة (106) أي على الباب الموصل لقاعات العرش (64 ، 65)، لقد وجد

هذا المشهد بحالة أفضل من البقية وقد أسماه المنقب مشهد تنصيب زمري ليم (l'Investiture) ونسبه إلى زمن حكم هذا الملك /1775 – 1761 ق.م/:

لقد نفذ مشهد التنصيب على طبقة رقيقة من الكلس الناعم واستخدم فيه

ثلاثة ألوان (أبيض – أسود – أحمر) ضمن إطار كبير /250 × 175سم/ رسمت المشاهد في ثلاثة حقول طولاً نية عاموديه، مشهد التنصيب الرئيسي في الوسط يحيط فيه من الجانبين مشهذان متماثلان، ولقد وزعت المشاهد في الحقل الأوسط في حقلين أفقيين مستقلين، وقد يرمزان إلى شكل المعبد، ففي الحقل الأعلى نرى الملك زمري ليم بردائه المشرشب الجميل الذي يشبه الرداء الذي ظهر في مشهد التضحية، وعلى رأسه القبعة الملكية () ، ويستلم باليد اليسرى الحلقة والعصا

رمز السلطة من الربة عشتار التي تقف على حيوانها المفضل الأسد، ويرفع هذا الملك يده اليمنى محبباً بينما تقف خلف الربة عشتار وزمري ليم آلهة أخرى

تراقب المشهد وتباركه، وفي الحقل الأسفل ظهر مشهذان متماثلان تماماً

ومتقابلان، فيهما ربنا ينبوع متقابلتان ترتديان ثوباً مهدباً تحملان كل منهما

إناء تخرج منه المياه ترافقها النباتات والأسماك رمز الحياة، ويحيط بمشاهد



الحقل الأوسط كما ذكرنا مشهوان متماثلان نرى فيهما شجرة نخيل طويلة تحرسها ثلاثة كائنات خرافية مجنحة يلبيها شجرة أخرى يتسلق عليها رجلان ويفر منها طائر مذعور وخلف الجميع تقف آلهة ترفع يديها بابتهاج تبارك المشهد وتحميه.

ويرى الكاتب ان وظيفة المشهد هو الابلاغ عن اختيار الالهة للسلطة الملكية الارضية والمباركة الواضحة في عملية التنصيب وبذلك توظفت هنا الفكرة الملكية مع السلطة المنبثقة لكي تحقق اول دعوات استلام زمام الامور من خلال قيادة المدينة وهي بحاجة الى قوة مسؤولة تنظم عملية الادارة وارتباط سلطة الملك بالالهة.

والتحليل العلمي في فلسفة الفن اثبت ان الجدارية لها سياق مهيم ، يوضح شخصية الملك البطل لتبلغ مكانته في قيادة المدينة بجواز من الاله حيث عرضت الجدارية خلف العرش هذا لعب دورا بارزا وفاعلا في اعطاء فرصة بث حي ونقل مباشر يقول ان الاشكال هي ذات قيم تعبيرية ومفاهيم ذات نشاط انساني، في الفكر الاجتماعي ليرضي الحاجات التعبيرية لدى الشعب، ولعل خير شاهد الذي يبثه المشهد هو الارتكاز على الشخصية الحاكمة .